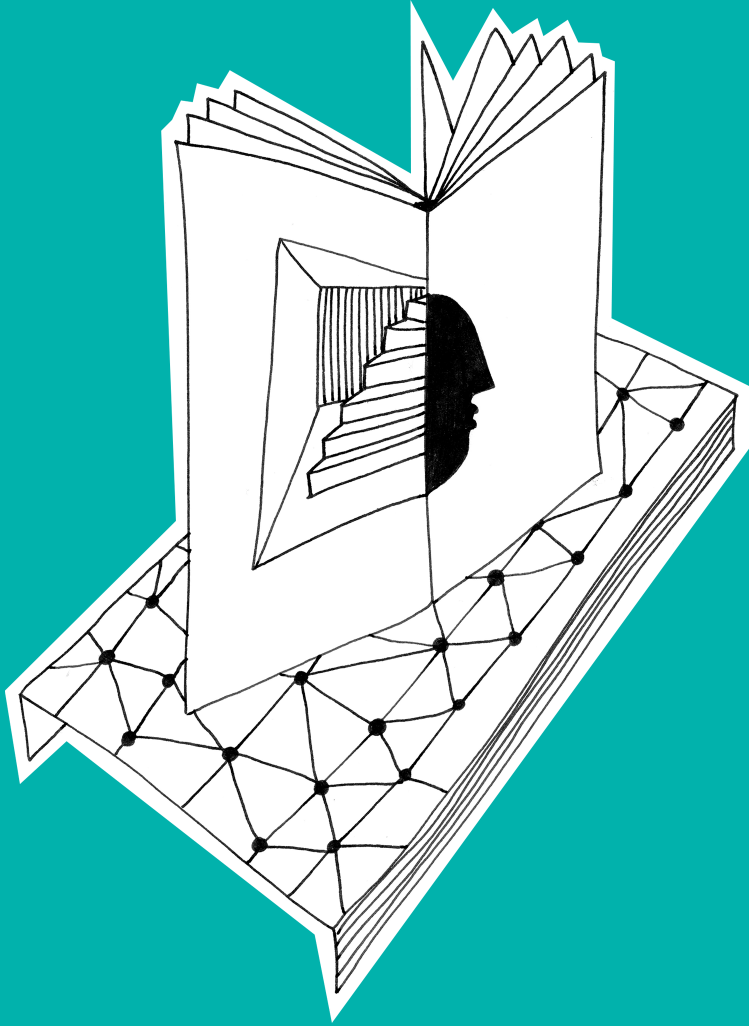


المعهد الفريق



بدر شاكر السياب

المعهد الغريقي

تأليف
بدر شاكر السياب



الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي سي آي سي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلي يسري.

الترقيم الدولي: ١ ١٨٧٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

جميع الحقوق الخاصة بالإخراج الفني للكتاب وبصورة وتصميم الغلاف
محفوظة لمؤسسة هنداوي سي آي سي. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا
العمل خاضعة للملكية العامة.

Artistic Direction, Cover Artwork and Design Copyright © 2019

Hindawi Foundation C.I.C.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	شباك وفيقة (١)
١١	شباك وفيقة (٢)
١٥	حدائق وفيقة
١٩	أم البروم
٢٣	أمام باب الله
٢٧	الغيمة الغربية
٢٩	دار جدي
٣٣	حزين في روما
٣٧	الأم والطفلة الضائعة
٤١	النبوءة الزائفة
٤٣	مدينة السراب
٤٥	نبوءة ورؤيا
٤٩	ذهبت
٥١	يا نهر
٥٣	صياح البط البري
٥٥	المعبد الغريق
٦١	أفياء جيكور
٦٥	الشاعر الرجيم
٦٩	لأنني غريب
٧١	ابن الشهيد

المعبد الغريق

٧٥

٧٩

٨٣

٨٥

٨٩

فرار عام ١٩٥٣

جيكور شابت

احتراق

سهر

الوصية

شباك و فيقة (١)

شَبَّاكُ وَفِيقَةٌ فِي الْقَرْيَةِ،
نَشْوَانُ يُطَلُّ عَلَى السَّاحَةِ
(كَجَلِيلٍ تَنْتَظِرُ الْمَشِيَّةَ
وَيَسُوعَ) وَيُنْشِرُ أَلْوَاحَهُ.
إِيكَارٌ يَمْسَحُ بِالشَّمْسِ
رِيشَاتِ النَّسْرِ وَيَنْطَلِقُ.
إِيكَارٌ تَلَقَّفَهُ الْأَفْقُ،
وَرَمَاهُ إِلَى اللَّجَجِ الرَّمَسِ.
شَبَّاكُ وَفِيقَةٌ يَا شَجْرَةً
تَتَنَفَّسُ فِي الْغَبَشِ الصَّاحِي.
الْأَعْيُنُ عِنْدَكَ مَنْتَظِرَةٌ.

* * *

تَتَرَقَّبُ زَهْرَةَ تَفَاحٍ،
وَبُؤَيْبُ نَشِيدٍ،
وَالرِّيحُ تُعِيدُ
أَنْغَامَ الْمَاءِ عَلَى السَّعْفِ،

* * *

ووفيقَةٌ تَنْظُرُ فِي أَسْفِ
مَنْ قَاعِ الْقَبْرِ وَتَنْتَظِرُ؛
سَيَمُرُّ فِيهِمْسُهُ النَّهْرُ،

ظلاً يتماوج كالجَرَسِ،
في ضحوة عيد،
ويهفُّ كحبات النَّفْسِ،
والريح تُعيد
أنغام الماء (هو المَطْرُ)،
والشمس تكرر في السعفِ:
شباك يضحك في الألقِ؟
أم باب يفتح في السورِ،
فتفر بأجنحة العبقِ
روح تتلهف للنورِ؟

* * *

يا صخرةً معراج القلب،
يا «صور» الألفة والحبِّ،
يا درباً يصعد للربِّ،
لولاك لما ضحكت للأنسام القريّة،
في الريح عبير
من طوق النهر يهددنا ويغنينا
(عوليس^١ مع الأمواج يسير،
والريح تذكره بجزائر منسية:
«شبنا يا ريح فخلينا»).

* * *

العالم يفتح شبَّاكه،
من ذاك الشباك الأزرقُ
يتوحد، يجعل أشواكه
أزهاراً في دعة تعبق.

* * *

^١ هو أوديسيوس بطل الأوديسة.

شباك وڤيقة (١)

شباك مثك في لبنان،
شباك مثك في الهند،
وڤتاة تحلم في اليابان،
كوڤيقة تحلم في اللّحدِ
بالبرق الأخضر والرعد.

* * *

شباك وڤيقة في القرية
نشوان يطل على الساحة،
(كجليل تحلم بالمشية
ويسوع)
ويحرق ألواح.

شباك و فيقة (٢)

أطلي فشبَّاك الأزرقُ
سماء تجوع،
تبيَّنَتْه من خلال الدموع،
كأني بي ارتجف الزورق.
إذا انشق عن وجهك الأسمر،
كما انشق عن عشتروت المحار،
وسارت من الرغو في مئزر.
ففي الشاطئين اخضرار،
وفي المرفأ المغلقِ
تصلي البحار.
كأني طائر بحرٍ غريب،
طوى البحر عند المغيب،
وطاف بشبَّاك الأزرق،
يريد التجاءً إليه،
من الليل يربد عن جانبيه؛
فلم تفتحي،
ولو كان ما بيننا محض باب،
لألقيت نفسي لديك،
وحدقت في ناظريك.
هو الموت والعالم الأسفلُ،

هو المستحيل الذي يُذهل.
تمثلت عينيك يا حفرتين،
تطلان سخرًا على العالم،
على ضفة الموت بوأبتين
تلوحان للقادم.
وشبَّاكِ الأزرقُ
على ظلمة مطبقُ،
تبدَّى كحبل يشدُّ الحياةَ
إلى الموت كيلا تموت.
شفاهك عندي ألد الشفاه،
وبيتك عندي أحب البيوت.
وماضيك من حاضري أجملُ،
هو المستحيل الذي يُذهل،
هو الكامل المنتهي لا يريد،
ولا يشتهي أنه الأكملُ؛
ففي خاطري منه ظلٌّ مديد،
وفي حاضري منه مستقبلُ.

* * *

تُرى جاءك الطائرُ الزنبقي؛
فحلَّقتِ في ذات فجرٍ معه.
وألقى نعاس الصباح النقي
على حسك المشتكي برقعته.
وفتَّحت عينيك عند الأصيل
على مدرجٍ أخضر.
وكان انكسار الشعاع الدليل
إلى التل والمنزل المرمر.
هناك المساء اخضرار نحيل
من التوت والظل والساقية.

شباك وڤيقة (٢)

وڤي الباب مدَّ الأمير الجميل
ذراعیه یرستقبل الآتیة:
«أمیرتی الغالیة،
لقد طال منذ الشتاء انتظاری،
فڤیم التآنی وڤیم الصدود؟»

* * *

وهیهات أن ترجعی من سفار،
وهل میئت من سفار یعود؟

جیکور، ٢٩ / ٤ / ١٩٦١

حدائق وافية

لوفيفة

في ظلام العالم السفلي حقل،

فيه مما يزرع الموتى حديقة.

يلتقي في جوها صبح وليل،

وخيال وحقيقة.

تنعس الأنهار فيها وهي تجري،

مثقلات بالظلال،

كسلال من ثمار كدوال،

سُرّحت دون حبال.

كل نهر

شرفة خضراء في دنيا سحيقة،

ووفيفة

تتمطى في سرير من شعاع القمر،

زنبقي أخضر.

في شحوب داعم فيه ابتسام،

مثل أفق من ضياء وظلام،

وخيال وحقيقة.

أي عطر من عطور الثلج وان،

صعدته الشفتان،

بين أفياء الحديقة.

يا وفاقية؟
والحمامُ الأسودُ،
يا له شلال نور منطفي!
يا له نهر ثمار مثلها لم يقطف!
يا له نافورة من قبر تموز المدمى تصعدُ!
والأزاهير الطوال، الشاحبات، الناعسةُ
في فتور عصرت أفريقيا فيه شذاها
ونداها.
تعزف الناياتِ في أظلالها السكرى عذارى لا نراها.
رَوَّحت عنها غصون هامسةُ،
ووفيقيةُ
لم تزل تثقل جيكور رؤاها.
آه لو روى نخيلات الحديقةُ
من بويب كركرات! لو سقاها
منه ماء المد في صبح الخريف!
لم تزل ترقب بابًا عند أطراف الحديقة،
ترهف السمع إلى كل حفيف.
ويحها ... ترجو ولا ترجو وتبكيها مناها:
لو أتاها ...
لو أطال المكث في دنياه عامًا بعد عام،
دون أن يهبط في سلم ثلج وظلام.
ووفيقيةُ
تبعث الأثناء في أعماقها ذكرى طويلةُ،
لعشيش بين أوراق الخميعةُ،
فيه من بيضاته الزرق انتقاد أخضرُ.
(أي أمواج من الذكرى رفاقية.)
كلما رفَّ جناحُ أسمر
فوقها، والتم صدر لامعاتُ فيه ريشاتُ جميلةُ،

أشعل الجوّ الخريفيّ الحنانُ،
واستعاد الضمّة الأولى وحواء الزمانُ.
تسأل الأموات من جيکور عن أخبارها،
عن رباها الربد، عن أنهارها.
آه، والموتى صموت كالظلام،
أعرضوا عنها ومروا في سلام.
وهي كالبرعم تلتف على أسرارها.
والحديقة
سقسق الليلُ عليها في اكتئاب،
مثل نافورة عطرٍ وشرابٍ.
وخيالٍ وحقيقة
بين نهديك ارتعاش يا وافية.
فيه برّد الموت باكٍ.
واشربت شفتاكِ.
تهمسان العطر في ليل الحديقة.

١٩٦١/٨/١٢

أم البروم

المقبرة التي أصبحت جزءاً من المدينة

رأيت قوافل الأحياء ترحل عن مغانيها،
تطاردها وراء الليل أشباح الفوانيس.
سمعت نشيج باكيها،
وصرخة طفلها وثغاء صاد من مواشيها.
وفي وهج الظهيرة صارخاً «يا حادي العيس»
على ألم مغنيها.
ولكن لم أر الأموات يطردهن حفاً
من الحفر العتاق وينزع الأكفان عنها أو يغطيها.
ولكن لم أر الأموات قبل ثراك يُجليها
مجوناً مدينةً وغناء راقصةٍ وخمّاراً.
يقول رفيقي السكران: «دعها تأكل الموتى
مدينتنا لتكبر، تحضن الأحياء، تسقينا
شرباً من حداثق برسفون،^١ تلنا حتى
تدور جماجم الأموات من سُكّر مشي فينا!»

^١ ابنة آلهة الخصب اليونانية، اختطفها بلوتو سيد العالم السفلي، عالم الموتى، فصارت تعيش معه هناك.

مدينتنا منازلها رحي ودروبها نارُ.
لها من لحمنا المعروك خبزُ فهو يكفيها ...
علامَ تمدُّ للأموات أيديها، وتختارُ،
تلوك ضلوعها وتقيئها للريح تسفيها؟
تسلل ظلها الناري من سجنٍ ومستشفى
ومن مبعي ومن خمارة ... من كل ما فيها،
وسار على سلالم نومنا زحفاً،
ليهبط في سكينه روحنا ألماً فيبيكيها.
وكانت إذ يُطلُّ الفجرُ تأتيك العصافيرُ
تساقطُ، كالثمار على القبور، تنقر الصمتا،
فتحلم أعين الموتى
بكركرة الضياء وبالتلال يرشها النورُ،
وتسمع ضجة الأطفال أم ثلاثة ضاعوا،
يتامى في رحاب الأرض: إن عطشوا وإن جاعوا،
فلا ساقٍ ولا من مطعمٍ في الكوخ ظلوا واعتلى النعش
رعوس القوم والأكتاف ... أفئدةٌ وأسماعُ،
ولا عينٌ ترى الأم التي منها خلا العش.
وفي الليل
إذا ما نرذر الأنوارَ في أيدٍ من الظلمة،
ودبت طفلة الكفين، عارية الخطى نسمة،
تلم من المدينة، كالمحار وكالحصى من شاطيء رملٍ،
نثار غنائها وبكائها لم تترك العتمة،
سوى زبيدٍ من الأضواء منثور،
يذوب على القبور كأنه اللبنة في سورٍ،
يباعد عالم الأموات عن دنيا من الذلِّ،
من الأغلال والبوقات والآهات والزحمة،
وأوقدت المدينة نارها في ظلّة الموتِ،
تقلع أعين الأموات ثم تدس في الحفرِ

بذور شقائق النعمان، تزرع حبة الصميت؛
لتثمر بالرنين من النقود، وضجة السفر،
وقهقهة البغايا والسكرارى في ملاهيها.
وعصرت الدفين من النهود بكل أيديها،
تمزقهن بالعجلات والرقصات والزمر،
وتركلهن كالأكر،
تفجرها الرياح على المدارج في حواشيها.
وحيث تلاشت الرعشات والأشواق والوجد،
وعاد الحب ملمس دودة وأنين إعصار،
تتأبت المدينة عن هوى كتوقد النار.
تموت بحرّها ورمادها ودخانها الهاري،
ويا لغة على الأموات أخفى من دجى الغابة،
تردها المقاهي: «ذلك الدلال جاء يريد أتعابه.»
إذا سمعوك رن كأنه الجرس الجديد يرن في السحر.
صدى من غمغمات الريف حول مواقد السمر:
«إذا ما هزت الأنسام مهد السنبيل الغافي،
وسال أنين مجدافٍ
كأن الزورق الأسيان منه يسيل في حلم،
عصرت يدي من ألم.»
فأين زوارق العشاق من سيارة تعدو
ببنت هوى؟ وأين موائد الخمار من سهل يمد موائد القمر؟
على أمواتك المتناثرين بكل منحدرٍ
سلام جال فيه الدمع والآهات والوجد،
على المتبدلات لحويهم والغايات قبورهم طرقا،
وطيب رقادهم أرقا،
يحن إلى النشور ويحسب العجلات في الدرب،
ويرقب موعد الرب.

أمام باب الله

منظرًا أمام بابك الكبير
أصرخ في الظلام أستجيرُ:
يا راعي النمل في الرمال،
وسامع الحصة في قرارة الغدير،
أصبح كالرعود في مغاور الجبال،
كآهة الهجير.
أتسمع النداء يا بوركتَ تسمعُ.
وهل تجيب إن سمعتَ؟
صائدُ الرجال
وساجقُ النساء، أنتَ يا مفجّع.
يا مهلك العباد بالرجوم والزلازل،
يا موحش المنازل،
منظرًا أمام بابك الكبير
أحس بانكسار الظنون في الضمير.
أثور؟ أغضبُ؟
وهل يثور في حماك مذنبُ؟!

* * *

لا أبتغي من الحياة غير ما لديّ:
الهري بالغلل يزحم الظلام في مده،
وحقلي الحصيد نام في ضحاه،

نفضتُ من ترابه يديّ.
ليأت في الغداة،
سواي زارعون أو سواي حاصدون!
لتنثر القبورِ والسنابلِ السنون!
أريد أن أعيشَ في سلام،
كشمعةٍ تذوب في الظلام،
بدمعة أموت وابتسام.
تعبتُ من توقد الهجير،
أصارع العباب فيه والضمير،
ومن لياليّ مع النخيل والسراج والظنون.
أتابع القوافي
في ظلمة البحار والفيافي،
وفي متاهة الشكوك والجنون.
تعبت من صراعي الكبير،
أشقُّ قلبي أطعم الفقير،
أضيء كوخه بشمعة العيون،
أكسوه بالبيارق القديمة،
تنث من رائحة الهزيمة.
تعبت من ربيعي الأخير،
أراه في اللقاح والأقاح والورود،
أراه في كل ربيع يعبر الحدود.
تعبتُ من تصنع الحياة،
أعيش بالأمس، وأدعو أمسي الغدا.
كأنني ممثل من عالم الردى،
تصطاده الأقدار من دجاء،
وتوقد الشموع في مسرحه الكبير،
يضحك للفجر وملء قلبه الهجير.
تعبت كالطفل إذا أتعبه بكاه!

* * *

أودُّ لو أنام في حماك،
دثارِي الأثام والخطايا،
ومهدي اختلاجة البغايا،
تأنف أن تمسني يداك.
أود لو أراك ... من يراك؟
أسعى إلى سدتك الكبيرة
في موكب الخطاة والمعذبين،
صارخةً أصواتنا الكسيرةً
خناجرًا تمزقُ الهواء بالأنين:
«وجوهنا اليباب

كأنها ما يرسم الأطفالُ في التراب،
لم تعرف الجمال والوسامة.
تقضت الطفولة. انطفا سنا الشباب
وذاب كالغمامة،

ونحن نحمل الوجوه ذاتها،
لا تلفت العيون إذ تلوح للعيون
ولا تشفُّ عن نفوسنا، وليس تعكس التفاتها.

إليك يا مفجّر الجمال، تائهون
نحن، نهيم في حدائق الوجوه. أه
من عالم يرى زنابق الماء على المياه
ولا يرى المحار في القرار،
واللؤلؤ الفريد في المحار!»

* * *

منظرًا أصيح، أنهش الحجار:
«أريد أن أموت يا إله!»

الغيمة الغربية

المومس الأجيّرة الحقيرة
أكثر من حبيبتي سحاء.
أتيتها مساء
معانقًا ... أعانق الهواء،
هب من القطب على الظهيرة،
مقبلاً عيونها الخواء،
كأنني كيشوت في الأصيل،
يركض خلف ظله الطويل،
ويطعن السنابل الكسيرة،
يظنها الأعداء.
ضمتُّ منها جثةً بيضاء،
تكفنت من داخلٍ، وقبرها
في جوفها تناءى.
حملت منها صخرة صماء
تشدني إلى الثرى،
أرفعها لتلثم الجوزاء.
الحب أن تبذل أن تنال ما تريدُ
كالنبح إذ يدفق، لا كاللبير،
كالنار تطوي نحوك السماء،
لا شرر الزناد.

أستزيدُ
فألتقي دمي، كغيمة تعيد نفسها للبحر.
أتعلم السحابة المرعدة المبرقة المجلجلة،
بأن ماءها سيستحيل غيمة إليها مقبلّة،
تبذله في الفجر
وتلتقي به قبيل العصر؟
أريد أن أضمّ، أن أقبلّ.
الدم الذي ينبض في الشفاه
كأنما القلب الذي يقبلّ.
الجسد الموات لا يحس شهقة الأله.
تغور كالمدية حين تقتل،
فتبعث الحياة في القتل.
أريد أن أحرق كالحريق من أخيل:
في القلب واليدين والكعبين،
ويأكل النار لظّي في عيني.
لو كان ما تحسه الحبيبة
الألم، الدوار ... لا الخواء،
ما كنت مثل غيمة غريبة،
ترعد حتى تشعل الهواء
رعدًا،
وتأبى الأرض أن تجيبه!

البصرة، ٢٢/١٢/١٩٦١

دار جدي

مطفأةٌ هي النوافذ الكثر،
وباب جدي موصل وبيته انتظار،
وأطرق الباب فمن يجيب، يفتحُ؟
تجيبني الطفولة، الشباب منذ صار،
تجيبني الجرار جف ماؤها، فليس تنضح:
«بويب»، غير أنها تذرذر الغبار.
مطفأةٌ هي الشموس فيه والنجوم.
الحقب الثلاث منذ أن خفقت للحياة
في بيت جدي، ازدحمن فيه — كالغيوم
تختصر البحار في خدودهن والمياه.
فنحن لا نلم بالردى من القبور،
فأوجه العجائز
أفصح في الحديث عن مناجل العصور
من القبور فيه والجنائز.
وحين تقفز البيوت من بُناها
وساكنيها، من أغانيها ومن شكاتها،
نحس كيف يسحق الزمان إذ يدور.

أأشتهيك يا حجارة الجدار، يا بلاط، يا حديد، يا طلاء؟
أأشتهي التقاءكن مثلما انتهى إليّ فيه؟
أم الصبا صباي والطفولة اللعوب والهناء؟
وهل بكيت أن تضعع البناء
وأقفر الفناء أم بكيت ساكنيه؟
أم أنني رأيت في خرابك الفناء
محدِّقًا إليّ منك، من دمي
مكشِّرًا من الحجار؟ أه، أي برعم
يُرَبُّ فيك؟ برعم الردى! غداً أموت،
ولن يظل من قواي ما يظل من خرائب البيوت.
لا أنشق الضياء، لا أعضض الهواء،
لا أعصر النهار أو يمصُّني المساء.

* * *

كأنّ مقلتي، بل كأنني انبعثت (أورفيوس)،
تمصُّه الخرائب الهوى إلى الجحيم،
فيلتقي بمقلتيه، يلتقي بها، بيورديس:
«آه يا عروس
يا توءم الشباب، يا زنبقة النعيم!»
طريقه ابتناه بالحنين والغناء:
براعم الخلود فتحت له مغالِقَ الفناء.
وبالغناء، يا صباي، يا عظام، يا رميم،
كسوتك الرواء والضياء.

* * *

طفولتي، صباي، أين ... أين كلُّ ذاك؟
أين حياة لا يحدُّ من طريقها الطويل سور
كشّر عن بؤابة كأعين الشباك
تفضي إلى القبور؟
والكون بالحياة ينبض: المياه والصخور

وذرة الغبار والنمال والحديد.
وكل لحن، كل موسمٍ جديد:
الحرث والبذار والزهور.
وكل ضاحك فمن فؤاده، وكل ناطق فمن فؤاده،
وكل نائح فمن فؤاده. والأرض لا تدور،
والشمس، إذ تغيب، تستريح كالصغير في رقادها.
والمرء لا يموت إن لم يفترسه في الظلام ذيبٌ،
أو يختطفه مارد، والمرء لا يشيب
(فهكذا الشيوخ منذ يولدون؛
الشعر الأبيض والعصي والذقون).

* * *

وفي ليالي الصيف حين ينعس القمرُ
وتذبل النجوم في أوائل السَّحَرِ،
أفريق أجمع الندى من الشجر
في قدح، ليقتل السعال والهزال.
وفي المساء كنت أستحمُّ بالنجوم،
عيناى تلقطانهن نجمةً فنجمَةً، وراكب الهلال
سفينةً ... كأنَّ سندباد في ارتحال:
شراعي الغيوم
ومرفئي المحال،
وأبصر الله على هيئة نخلة، كتاج نخلة يبيض في الظلام،
أحسه يقول: «يا بني، يا غلام،
وهبتك الحياة والحنان، والنجوم
وهبتها لمقلتيك، والمطر
للقدمين الغضبتين، فاشرب الحياة
وعُبَّها، يحبك الإله.»

* * *

أهكذا السنون تذهبُ؟
أهكذا الحياة تنضبُ؟
أحس أنني أذوب، أتعبُ،
أموت كالشجر.

حنين في روما

يتثاءب جسمك في خلدي
فتُجن عروقُ،
عريان تزلق في أيدٍ
تُنهبه الرعشة، فهي شروق
في ليل الشهوة. كل دمي
يتحرق، يلهث، ينفجر،
ويقبّل ثغرك ألف فم،
في جسمي تُنبئها سَقْرُ،
وأحن، أتوق.

* * *

وأحس عبيرك في نَفسي
ينهدُّ، يدندن كالجرس.

* * *

ووليمة جسمك يا واها،
ما أشهاها!

* * *

يا فجر الصيف إذا بردا،
يا دفء شتائي، يا قبلاً أتمناها،
أحيا منها، وأموت بها، وأضم الأمس
أمسُ غدا.

* * *

وتعود اللحظة لي أبدا.
ما أنأى بيتك ما أنأى عينك بحار،
وجبال دم: زَمْنُ جمدا
ليعود مدى. وأجن، أثار،
فأحسُّ عبرك في نَفْسِي
ينهد، يدندن كالجرس.
ما أسعدها، ما أشقاها؟!
أرضي، آسية العريانة،
أنا في روما أبكيها وأعيش بذكرها،
ألنك فيها أهواها؟

* * *

من جوع صغارك يا وطني، أشبعت الغرب وغربانه.
صحراء من الدم تعوي، ترجف مقروره،
ومرابط خيل مهجورة،
ومنازل تلهث أَوْها،
ومقابر ينشج موتها.

* * *

وأحسُّ عبرك في نَفْسِي
ينهدُّ، يدندنُ كالجرس،
لو شئت لطيفك أوروبا
وطناً، لحملت معي زادي،
وعبرت مرافئها، وطويت شوارعها درباً درباً،
أسقيه الشمس وأطعمه قُبلاً وبراعم أورد.
لكنك أثبتُ في الشرق ...

حنين في روما

سأعود فأقطع سألماً وثباً؛
لأضمك يا أبد الشوق.
يا نور المرفأ يهدي القلب إذا تاهأ،
يا قصة عنتر إذ تروى حول التنور فأحيأها،
سأحس عبيرك في نفسى،
ينثال ويقرع كالجرس.

روما، ١٩ / ١٠ / ١٩٦١

الأم والطفلة الضائعة

قفي، لا تغربي، يا شمس، ما يأتي مع الليلِ
سوى الموتى. فمن ذا يُرجع الغائب للأهلِ،
إذا ما سدَّت الظلماء

دروبًا أثمرت بالبيت بعد تناول المحل؟
وأن الليل ترجف أكبد الأطفال من أشباحه السوداء،
من الشهب اللوامح، فيه مما لاذ بالظلِّ
من الهمسات والأصداء.

شعاعك مثل خيط اللابرنث، يشده الحب
إلى قلب ابنتي من باب داري، من جراحتي،
وأهاتي.

مضى أزلُّ من الأعوام: آلاف من الأعمار، والقلب.
يعد خوافق الأنسام، يحسب أنجم الليل،
يعد حقائب الأطفال، يبكي كلما عادوا
من الكتَّاب والحقل.

ويا مصباح قلبي، يا عزائي في الملمات،
منى روعي، ابنتي: عودي إليَّ فما هو الزادُ.
وهذا الماء. جوعى؟ هاك من لحمي.

طعامًا. أه! عطشى أنت يا أمي؟
فعبي من دمي ماء وعودي ... كلهم عادوا.
كأنك برسفون تخطفتها قبضة الوحش.

وكانت أمها الولهى أقلّ ضنى وأوهاما
من الأم التي لم تدرِ أين مضيت!
في نعش؟
على جبل؟ بكيت؟ ضحكيت؟ هبّ الوحش أم ناما؟
وحين تموت نار الليل، حين يعسّس الوسن
على الأَجْفان، حين يفتش القَصَّاص في النار؛
ليلمح من سفينة سَنَدِباد ذوائب الصاري،
ويُخفّت صوته الوهنُ،
يجن دمي إليك، يحن، يعصرني أسى ضارٍ.
مضت عشر من السنوات، عشرة أدهر سود.
مضى أزلُّ من السنوات، منذ وقفتُ في الباب
أُنادي، لا يردُّ عليّ إلاّ الريح في الغاب،
تمزق صيحتي وتعيدها ... والدرب مسدود.
بما تتنفس الظلماء من سمر وأعناجٍ.
وأنتِ كما يذوب النور في دوامة الليل،
كأنك قطرة الطلّ
تشرّبها التراب ... أكاد من فَرَقٍ وأوصابٍ
أسائل كل ما في الليل من شبحٍ ومن ظل،
أسائل كل ما طفل:
«أأبصرت ابنتي؟ رأيتهَا؟ أسمعْت ممشاها؟»
وحين أسير في الزحمة
أصغر كل وجه في خيالي: كان جفناها
كغمغمة الشروق على الجداول تشرب الظلمة،
وكان جبينها ... وأراك في أبد من الناس
موزعة، فاه لو أراكِ وأنتِ ملتمةً.
وأنتِ الآن في سحر الشباب، عصيره القاسي
يغلغل في عروقتك، ينهش النهدين والثغرا.
وينشر حولك العطرا،

فيحلم قلبك المسكين بين النور والعتمة،
بشيء لو تجسد كان فيه الموت والنشوة!
وأذكر أن هذا العالم المنكود تملأ كأسه الشقوة،
وفيه الجوع والآلام فيه الفقر والداء.
أأنت فقيرة تتضرع الأجيال في عينيك، فهي فمٌ
يُريد الزاد، يبحث عنه والطرقاظ ظلماء؟
أحدق في وجوه السائلات أحالها السقم،
ولوونها الطوى، فأراك فيها أبصر الأيدي
تمد، أحس أن يدي ... يدي معهن تعرض زرقة البرد.
على الأبصار وهي كأنهن أدارها صنم،
تجمد في مدى عينيه أدعيةً وسال دم،
فأصرخ «في سبيل الله» تخنق صوتي الدمعة
بخيط الملح والماء.
وأنت على فمي لوعة.
وفي قلبي، وضوء شع ثم خبا بلا رجعة.
وخلفني أفتش عنه بين دجى وأصداء.

البصرة، ٦/١٠/١٩٦١

النبوءة الزائفة

وكانت تُجمَعُ في خاطري
خيوطٌ ضبابيَّةٌ قاتمةٌ،
نهاياتُها في المدى عائمةٌ،
وأعراقها السود في ناظري.
ودارتْ خيوطٌ ولفتْ سواها،
فعانقنَ أفقا،
ووسوسنَ غيماً على الريح مُلقى،
تجمَعُ من كل صوب، ورعداً وبرقاً:
لقد أغضب الآثمون الإلهة،
وحقَّ العقاب!
يا أفراسَ الله استبقي،
يا خيلاً من نارٍ وسحابٍ،
من وقع سنابك الرعد،
والبرق الأزرق في الأفق.
وصهيلك صور لظيِّ وعذاب،
الوعد! لقد أرف الوعدُ.
فيا قبضة الله، يا عاصفات،
ويا قاصفات، ويا صاعقةً،
ألا زلزي ما بناه الطغاةُ
بنيرانك الماحقة!

وتلتئمُ في خاطري
خيوطُ السحابِ،
وتُلقي على الأفقِ الدائرِ
وراء القبابِ:
وأحسستُ أن الغيومَ انتظانُ،
وأن انتظارًا يشد الترابَ،
وأصدى ... بماذا؟
بصوت انفجار.
على الشطِّ وادٍ وزم الشرار.
ورقعتُ بالنظرة الشامتة
ثقوبَ الكوى الصامتة:
سيندكُ سورٌ، ستنصبُّ نار.
وكان انتظان.
وجمعت الأرض أطباقها:
سيندكُ سورٌ، ستنصبُّ نار،
وعصرت السُّحبُ أعراقها
فبلَّ الثرى عاصف ممطر!

جيكور، ٣/١١/١٩٦١

مدينة السراب

عبرت أوروبا إلى آسيّة،
وما انطوى النهارُ.
كأنما الجبال والبحار
رَبِي وَأَطْرَافُ من الساقيةُ
يطفرها الصغار.
بين شروق الشمس والغروبُ
تعانق الشمال والجنوب،
ونامت المروج في القفار.
وَأَنْتِ يا ضجيعتي، كأنك الكواكبُ البعيدةُ،
كأنَّ بيننا من الكرى جدار.
تضمك اليدان تعصران جثةً بليدةً،
كأنني معانق دمي على حجار
في منزل لصوصه الرياح والهجير والغيوم،
مساؤه السكون والنجوم
وصبحة انتظار.
ترامت السنون بيننا: دمًا و نار،
أمدّها جسور
فتستحيل سور،
وَأَنْتِ في القرار من بحارك العميقة.
أغوص لا أمسّها، تصكني الصخور،

المعبد الغريق

تَقَطَّعَ العروق في يديّ، أَسْتَغِيثُ: «آه يا وُفِيقَةُ!
يا أَقْرَبَ الورى إِلَيَّ أَنْتِ يا وُفِيقَةُ
للدود والظلام».

عشر سنين سرتها إليك، يا ضجيجَةً تنام
معى وراء سورها، تنام في سرير ذاتها،
وما انتهى السفار

إليك يا مدينة السراب، يا ردى حياتها.
عبرت أوروبا إلى آسيّة
وما انطوى النهار،

وأنتِ يا ضجيعتي، مدينة نائية،
مسدودة أبوابها وخلفها وقفت في انتظار.

البصرة، ٢/١١/١٩٦١

نبوءة ورؤيا

(تنبأ عراف هندي بأن الحياة على الأرض ستنتهي يوم ٢ شباط سنة ١٩٦٢.)

نبوءتُكَ المريرةُ عذبَتني، مزقت روعي؛

نبوءتُكَ الرهيبةُ، أيها العراف تبكينني؛

رأيتُ مسالك الأفلak تهرع بالملايين.

قرأتُ خواطرَ الريح

ووسوسة الظلام كأن حقلًا بات ينتحب:

«ستنطفئ الحياة»، ورحتَ ترسم موعدَ القدرِ.

إذا حدجتني الشهبُ

هتفتُ بها: «غداً سنموت. فانهمري على البَشَر:

لأهونُ أن أموتَ لديك وحدي دون حشرجةٍ ولا أنَّة

من القدرِ المروعِ يجرف الأحياء بالآلاف.»

ولكنني أصيخُ إلى النهار فأسمع العراف

يهدّد: «سوف يهلك من عليها، سوف تلتهب.»

وتسرب في دمي جنه.

وحين رقدتُ أمس رأيتُ في ظلموتِ أحلامي.

رؤى تتلاحق الأنفاس منها ثم تنقطع.

أفقتُ وما تزال تضيء في خَلدي وتندلع.

كما يتفجّر البركان في ظلمات ليل دون أنسام،
بلا قمر وإن يك في المحاق أكاد أقتلع.
أكاد أمزق الدم في عروقي بارتعادة روعي الحيرى ...
أكاد أعانق القبرا.
أرى أفقًا وليلاً يطبقان عليّ من شُرْفَةٍ.
ولي ولزوجتي، في الصمت، عند حدودها وقفَةٌ.
نحدّق في السماء ونمنع الطفلين من نظر
إلى ما في دجاها الرابع المأخوذ من سقر،
تطفّأت الكواكب وهي تسقط فيه كالشرر
تطفّأ تحت ذيل الريح وهي تسفّه سفا،
كأنّ عصا تسوق مواكب الأفلاك في صحراء من ظلم،
ويلهث تحتنا الأجر، يزحف تحتنا زحفا ...
تضعضع فهو يُمسك نفسه ويئن من ألم،
ليهوي حين يغفل، حين يعجز ثم ينهار:
دجى نُثرت بها نارُ.
بني إليك صدري، فيه فادفن وجهك الطفلا.
بنيّ صهٍ أقص عليك ... أية قصة عندي؟
تفجرت الفقاعة وانتهى أبد إلى حد:
علامَ أتيتَ للدنيا؟
ليدرِكَ عمركَ الليلا؟
لتحيا أربع السنوات، ثم لتبصر الساعة
تقوم ولست تدرك ما تراه؟ تريد أن تحيا
وتجهل أن موتك فيه بعثك، أن للدنيا
نهاية سلمٍ يفضي إلى أبدٍ من الملكوت.
قلبكُ؟ أه ... من راعه؟
بكأوك وارتعابك فيهما لله إخراج.
وباسمهما أسأله الحساب: أنصرع الأطفال
لتشهد لوعة الآباء؟ تسعد قلبك الآمال

نبوءة ورؤيا

تخيب!

يكاد يهوي من صراخي عنده التاجُ،
ويُهدم عَرْشُهُ ويخر، تُطْفَأُ حوله الآباد والآزال.
ويقطر لابن آدم قلبه أماً وينفطر.

بغداد، ٢٦ / ١١ / ١٩٦١

ذهبت

ذهبتِ فاستحال بعدك النهارُ
كأنه الغروبُ،
كأنما سحبت من خيوطه النضار.
وظلَّ المدارج انكسارُ.
ومثلُّها انكسرتُ، غام في خيالي الجنوبُ.
ينوء بالخريفُ.
تعزَّت الكروم والجداول انطفأَن، والحفيفُ
يموت في ذرى النخيل، والدروب،
بصمتها، انتظار.
كحل عينيك سوادُ نار.
تشبُّ من قلبك، من براعم النهود،
يهتف بي إذا نظرت: أنتِ في استعار.
يا أيها البركان من ورود.
أواه لو أشد عينيك إلى النهار،
إلى غد فوق دمي يحومُ.
أي سماء أشعلتها رعشة النجوم.
وأثقل الظلام فيها من ندى المطرُ.
نظرت من قرارها إلى كالغيوم
تكنُّ في اربدادها الزهر!
يا نظرةً تخطفتني ريحها السَّموم

المعبد الغريق

إلى الضفاف الخضر من نهر.
غرقتُ فيه أشعليني! أطفئي اللهب.
يا نظرةً يشدُّ قلبي بالسما وتر.
يعزف مرُّها عليه غنوة القمر.

١٩٦٢/١/٢٠

يا نهر

يا نهر عاد إليك من أبد اللحد ومن خواء الهالكين
راعيك في الزمن البعيد، يسرّح البصر الحزين
في ضفتيك، ويسأل الأشجار عندك عن هواه.
أوراقها سقطت وعادت، ثم أذبلها الخريف.
وتبدلت عشرين مرة.
هيهات يسمع إذ توسوس في الدجى أصداء آه.
بالأمس أطلقها لديك ترن في جرس الحفيف.
كم قبلة عادت دوائر في مياهاك مستسرةً.
دنياه كانت أمس فيك، فهل تعود إلى الحياة؟
ليود من شغفٍ بمائك لو غدا.
ظلاً يداعب فيه جنياًته
متعلقاً بشراع كل سفينة؛
ليجاذب الملاح أغنيآته،
وتلوذ أنوار النجوم بصدره،
وتراقص الأمواج من ضحكاته.
ما أخيب الموتى إذا رجعوا إلى الدنيا القديمة.
وتلصصوا يتطلعون كما تطلع من كوى دار شريد.
ورأى ثمار الجمر سار عصيرها دفناً وجال عبرها المهود،
ما أخيب الموتى تكاد تحيل موتهم الهزيمة
شيئاً أمر من الحياة.

ما أخيبَ الموتى! تغير كل شيء كل باقٍ
مما أطلَّ على الحياة لأنهم كانوا كواه،
أم مات ما عرفوه إذ ماتوا فليس سوى رؤاه؟
فتكبدوا ألمَ الفراقِ،
ألمَ التغرب مرتين. فيا ضفاف النهر، يا أمواجه ومحاره،
ماذا تبقى فيك من أمس الهوى؟
الدوح أسلم للبلبل ورقاته،
وهي التي سمعت لديك حوار،
وهي التي أودعتُ فيها، في الضحى،
قبلتنا وطويت فيها ناره،
إني ذويتُ مع الظلام كما ذوى.
يا ليت لي شفة فتلثم أو يدًا فتمس ماءك.
إني لأكثر من غريب غربة وأشد حيرة؛
لم يبق فيك سوى الزمان، وليس مما فيك قطرة
من ماء أمس. كأن فجرك عاد قبل غدٍ مساءك،
وكان ضفتك الحبيبة ضفة الأبد البعيد.
يا نهر إن وردتك «هالة» والربيع الطلق في نيسانه،
ولى صباحها فهي ترتجف الكهولة، وهي تحلم بالورود،
في حين أثقلها الجليد، كأن نبعًا في اللحد.
تمتص منه عروقها دمها، فقل: لم ينسَ عهدك
وهو في أكفانه.

صياح البط البري

وذرى سكونَ الصباحِ الطويلِ
هتافُ من الديك لا يصدأُ.
وهزَّ الصدى سَعَفَاتِ النخيلِ،
وأشرقَ شَبَاكُنَا المطفأُ.
هتافُ سمعناه منذ الصَّغَرِ،
سمعناه حتى نموتُ.
يمرُّ على عَتَبَاتِ البيوتِ.
فيرسم أبوابها والحُجْرَ.
ولا يهدأُ
إلى أن تسيرَ الحقولُ
إلينا فنقطف منها الثمرُ.

* * *

وعند الضحى وانسكاب السماء
على الطين والعشبة اليابسة،
يشق إلينا غصونَ الهواءِ
صياحُ، بكاءُ، غناءُ، نداءُ
يبشر شطآننا اليائسةُ
بأنَّ المطرُ
على مَهْمِهِ الرياحِ مد القلوغُ،
هو البط ... فلتهنئي يا شموع.

بموتٍ به تعرفين الحياة.
به تعرفين ابتسامَ الدموعِ:
نذورًا تذويبن للأولياء.
صياحٌ ... كأنَّ الصياح
ينشرُ، مما انطوى من رياح
سهولًا وراء السهولِ،
أزاهيرها في الدجى من نباح.
وعند النهار حُزامى، أفاخ
وختميَّةٌ ما لها من ذيول ...
ينشر في شاطيءِ مشمسِ
من القصبِ الكثِّ غابًا له عذبات تطولُ.
صياحُ كأجراس ماءٍ ... كأجراس حقلٍ من النرجسِ
يُدينن والشمسُ تُصغي، يقولُ
بأنَّ المطرُ
سيهطلُ قبل انطواء الجناحِ،
وقبل انتهاء السفرِ ...

١٩٦٢/٣/١٨

المعبد الغريق

خيولُ الريحِ تصهّلُ، والمرافئُ يلمسُ الغرْبُ
صواريتها بشمسٍ من دمٍ، ونوافذُ الحانَةِ
تراقصُ من وراءِ خصاصها سُرُجٌ، وجمَعُ نَفْسَه الشربُ.
بخيطٍ من خيوطِ الخوفِ مشدودًا إلى قنينةٍ، ويمدُّ آذانه إلى المتلاطمِ الهدّارِ عندِ نوافذِ
الحانَةِ.

وحَدَّثَ — وهو يهمسُ جاحظًا العينينِ، مرتعدًا،
يعبُّ الخمرَ — شيخٌ عن دجى ضافٍ وأدغالِ
تلامحٍ وسَطَها قَمَرُ البحيرةِ يلثمُ العمدا ...
يمسُ البابَ من جنباتِ ذاكِ المعبدِ الخاليِ.
طواه الماءُ في غَلَسِ البحيرةِ بينِ أحراشٍ مبعثرةٍ وأدغالِ.
هنالكِ قبلَ ألفِ، حينِ مَجِّ لظاهِ من سَقَرِ،
فمُ يَتَفَتَّحُ البرُكَّانُ عنه فتنفضُ الحمى
قرارةِ كلِّ ما في الوادِ من حَجَرٍ على حَجَرِ،
تفجّرُ باللظى رَجْمُ البحيرةِ ينثرُ الأسماكَ والدمَ، مُرغِيًا سُمًّا،
وقرَّ عليه كلِّكٍ معبدٍ عصفتُ به الحمى.
تطفأُ في المباخرِ جَمْرُها وتوهجُ الذَّهَبُ
ولاحِ الدُّرُّ والياقوتُ أثمارًا من النورِ،

نجومًا في سماء تزحفُ دونها السحبُ،
تمرَّغ فوقها التماسحُ ثم طفا على السورِ؛
ليحرس كنزه الأبدِيّ حتى عن يد الظلماء والنور

* * *

وأرسي الأخطبوطُ فنارَ موتٍ يرصد البابا،
سجا في عينه الصَّوراء صُبْحُ كان في الأزلِ ...
تهزَّأ بالزمان، يمرُّ ليل بعد ليل وهو ما غابا.
ففيمَ غرورُ هذا الهالكِ الإنسان، هذا الحاضرِ المشدود بالأجلِ؟
أعمرَ ألفَ عامٍ؟ ليته شهد الخلائق وهي تعبر شرفة الأزلِ؟

* * *

ألا يا ليتَه شهد السلاحف: تسحق الدنيا
قياصرها، ويمنع دِرْعها ما صَوَّب الزمُّ
إليها من سهام الموت!
لكنَّ الذي يحيا
بقلبٍ يعبر الآبادَ، يكسر حدّه الوهنُ؛
فيصمت، عمره أزلٌ يمس حدوده أبد من الأكوان في دنيا،
هنالك ألفُ كنز من كنوز العالم الغرقى.
ستشبع ألف طفل جائع وتُقيل آلافًا من الداء،
وتنقذ ألف شعب من يد الجلّاد، لو ترقى
إلى فلك الضمير!
أكل هذا المال في دنيا الأرقاء
ولا يتحرَّرون؟ وكيف وهو يُصعد الأعناق،
يربطها إلى الداء؟
كأنَّ الماء في تبيح البحيرة يمنع الزمنا
فلا يتقحم الأغوار، لا يخطو إلى الغُرف.
كأنَّ على رتاج الباب طلسمًا، فلا وسنا
ولكنَّ يقظةً أبد، ولا موت يحد حدود ذاك الحاضر الترف،

كأنَّ تهجَّدَ الكُفَّانِ نَبْعٌ فِي ضمير الماء يدفق منه للغُرْفِ.
إذن ما عاد من سَفَرٍ إلى أهليه عوليس ...
إذن فشراعه الخَفَّاقُ يزرع فائز الأمواج،
بما حسب الشهورَ وعد حتَّى هدَّه البؤسُ.
فيا عوليس ... شاب فتاك، مبسم زوجك الوهَّاج
غدا حَطَبًا. ففيمَ تعود، تفري نحو أهلك أضلع الأمواج،
هلم فماء شيني^١ في انتظاركَ يحبس الأنفاسُ
فما جرحته نقرَةٌ طائرٍ أو عكرته أناملُ النسم.

* * *

هلم فإنَّ وَحْشًا فيه يحلم فيكَ دونَ الناسِ.
ويخشى أن تفجر عينه الحمراء بالظلم،
وأنَّ كنوزه العذراء تسأل عن شرارك خافق النسم.
أما فجعتك في طروادة الآهاتُ من جَرَحِي
ومحتضرين؟

يا لدم أريقَ فلطَّخَ الجدرانُ،
وردَّ ترابها الظمانَ طينًا، ردَّه جرحًا
كبيرًا واحدًا، جرحًا تفتح في حشا الإنسان
ليصرخَ بالسماء.

فيا لصوت رددته نوافذُ الحجرات والجدران:
«لأجل فُجور أنثى واتقاد متوج بالثأرُ
تخضب من دم المهجات حتى سلم الأفن؛
وحلَّ بلا أوان يومنا، وتساوت الأعمار
كزرع منه ساوى منجلٌ ...

وهناك في الشفقِ
تنوح نساؤنا المترملات، يولول الأطفال عند مدارج الأفق.»

^١ بحيرة في الملايو غرق المعبد إلى قرارتها.

هلمّ فقد شهدتُ كما شهدتَ دمًا وأشلاء:
تفجّر في بلادي قمقم ملأته بالنار
دهورُ الجوع والحرمان.
أي خليقة قاء؟
رأينا أنّ أفئدة التتار، وأذوب الغار
أرقّ من الرعاع القالعين نواظر الأطفال والشاوين بالنار
شفاه الحلمة العذراء.

يا نهرًا من الحقدِ
تدقّ بالخناجر والعصيّ، بأعين غضبي:
نجومًا في سماء شدها قابيل بالزند.
فليتك حين هزّ الموصل الإعصارُ (لا دربًا
ولا بيتًا ولا قبرًا نجا فيها) شهدت الأعين الغضبي.
وليتك في قطار مرّ حين تنفّس السحرُ،
فقص، على سرير السكة الممدود، أمراسا^٢
تعلّق في نهايتهن جسم يحصد النظرُ،
عليه الجرحُ بعد الجرح بعد الجرح أكداسا،
ليهوي جسم «حفصة»^٣ لابسًا فوق النجيع دمًا وأمراسا.
وفيم نخافُ في تَبَج البحيرة أو حفافها
كواسجٌ ضاريات أو تماسيح التظت لَهَا
نواجذها الحديدية؟ فيم تخشى كل ما فيها؟
فإن عقارب الرقاع^٤ يضرر سمها العطبًا،
وتزرع في الجسوم أزاهر الدم والجراح بلا دم لَهَا.

* * *

^٢ الأمراس: الحبال.

^٣ إحدى شهيدات الموصل (العراق).

^٤ سمك القرش، كلاب البحر.

^٥ أحد أبطال المد الفوضوي في العراق ... ينزل السجن الآن محكومًا عن سبع جرائم.

هلم نشق في البَاهُنْج^٦ حقل الماء بالمجذاف،
وننثر أنجم الظلماء، نسقطها إلى القاع
حصى ما ميزته العين عن فيروزه الرفاف
ولؤلئه المنقط بالظلام.
سنرعب الراعي
فيهرع بالخراف إلى الحظيرة خوف أن يغرقن في القاع.

* * *

هلم قليلاً آسيّة البعيد مدها يدعونا
بصوت من نَعاس، من ردى، من سجع كهان.
هلم ... فما يزال الدهر بين أيدينا.
لنطو دُجَاه قبل طلوع شمسِ دونَ ألوان
تبدد عالم الأحلام، تُخفت — إذ يرنّ التبرُّ فيها — سجع كهان!

* * *

يجول التبرُّ فيها مثل وَحْشٍ يأكلُ الموتى،
ويشرب من دم الأحياء، يسرق زاد أطفال،
ليتقدّ اللظى في عينه، ليعيره صوتاً
يُحطم صوت كلِّ الأنبياء هناك.
يا لرنين أغلال!
ويا لصدى من الساعات، بالأكفان مسّ رءوس أطفال،
وفلاً عناق كلِّ العاشقين، ودسّ في القُبلة
مدى من حشرجات الموت، ردّ أصابع الأيدي
أشجاع غاب عنها لحمها، وستائر الكثة
يحولها صفائح تحتها جثث بلا جلد.
هلم فبعد ما لمح المجوس الكوكب الوهّاج تبسط نحوه الأيدي
ولا ملأت جزاء^٧ وصبحه الآيات والسور.

^٦ النهر المؤدي إلى بحيرة شيني.

^٧ الغار الذي نزل الوحي فيه على محمد.

المعبد الغريق

هلم فما يزال زيوس يصبغ قمة الجبلِ
بخمرتِه ويُرسل ألف نسرٍ نز من أحداقِها الشرُّ
لتخطف من يُدير الخمر^٨ يحمل أكنؤس الصهباء والعسل.
هلم نزور آلهة البحيرة،
ثم نرفعها لتسكن قمّة الجبل!

البصرة، ١٧/٢/١٩٦٢

^٨ غانيميد الشاب اليوناني الذي أرسل إليه زيوس (كبير الآلهة) نسرًا فاخطفه وأصبح ساقياً للآلهة.

أفياء جيڪور

نافورة من ظلال، من أزاهير،
ومن عسافير ...
جيڪور، جيڪور، يا حفلاً من النور،
يا جدولاً من فراشاتٍ نُطاردها
في الليل، في عالم الأحلام والقمر
ينشرنَ أجنحةَ أندى من المطرِ
في أول الصيف.
يا بابَ الأساطير،
يا بابَ ميلادنا الموصولَ بالرحم،
من أين جئناك؟ من أيِّ المقاديرِ؟
من أيما ظلمٍ؟
وأيَّ أزمنةٍ في الليل سرناها
حتى أتيناك أقبلنا من العدمِ؟
أم من حياة نسيناها؟
جيڪور مسي جيبني فهو ملتهبٌ.
مسيه بالسَّعْفِ
والسُّنْبُلِ الترفِ.
مدِّي عليّ الظلالَ السمُرَ، تنسحبُ
ليلاً، فتخفي هجيري في حناياها.

ظلُّ من النخل، أفياءً من الشَّجَرِ
أندى من السَّحَرِ
في شاطئٍ نام فيه الماء والسُّحْبُ ...
ظلُّ كأهدابِ طِفْلٍ هدَّه اللَّعِبُ،
نافورة ماءؤها ضوء من القَمَرِ،
أودُّ لو كان في عينيَّ ينسربُ؛
حتى أحسَّ ارتعاشَ الحُلمِ ينبع من روعي وينسكبُ.
نافورة من ظلالٍ، من أزاهيرِ،
ومن عصافير ...

* * *

جيكورُ ... ماذا؟ أنمشي نحن في الزَّمنِ
أم أنه الماشي
ونحن فيه وقوفُ؟
أين أوله؟
وأين آخره؟
هل مرَّ أطوله،
أم مرَّ أقصره الممتدُّ في الشَّجَنِ،
أم نحن سياتن، نمشي بين أحراشِ،
كانت حياةً سوانا في الدياجيرِ؟
هل أنَّ جيكور كانت قبل جيكورِ
في خاطر الله ... في نبعٍ من النورِ؟
جيكور مدِّي غشاءَ الظلِّ والزهرِ،
سدي به باب أفكاري لأنساها.
وأثقلي من غصون النُّومِ بالثَمَرِ،
بالخوخِ والتين والأعناب عاريةً من قشرها الخصرِ.
ردي إليَّ الذي ضيَّعت من عُمرِي
أيامَ لهوي ... وركضي خلفَ أفراسِ
تعدو من القَصَصِ الريفي والسَّمَرِ؛

أفياء جيڪور

رَدِّي أبا زَيْد، لم يصحب من الناسِ
خَلًّا على السَفَرِ
إِلَّا وما عاد.
رَدِّي السندباد وقد أَلْقته في جُزُرِ،
يرتادها الرخ رِيحُ ذات أُمَراسِ.

* * *

جيڪورُ لمي عظامي وانفضي كَفَنِي
من طِينِهِ، واغسلي بالجدُولِ الجاري
قلبي الذي كان شَبًّاكًا على النارِ
لولاك يا وطني،
لولاك يا جنتي الخضراء، يا داري،
لم تَلَقْ أوتاري
ريحًا فتنقل آهاتي وأشعاري.
لولاك ما كان وَجْهُ الله من قدرِي.

* * *

أفياءُ جيڪورَ نَبَعَ سال في بالي،
أبْلُ منها صدَى رُوحِي ...
في ظلِّها أَشْتَهِي اللقيا، وأحلم بالأسفار والريحِ
والبحرِ تقدح أحداق الكواسج في صحابه العالي،
كأنها كَسَرٌ من أنجم سقطتُ.
كأنها سُرْجُ الموتى تقلبُها أيدي العرائس من حالٍ إلى حالِ.
أفياءُ جيڪورِ أهواها
كأنها انسرحتُ من قبرها البالي،
من قبر أُمِّي التي صارت أضالعها التعبى وعيناها
من أرض جيڪور ... ترعاني وأرعاهَا.

جيڪور، ۱۷/۳/۱۹۶۲

الشاعر الرجيم

(إلى شارل بودلير.)

حملت للنزال سيفك الصديء،
يهتز في يد تكاد تحرق السماء
من دمها المتقد المضيء،
تريدُ أن تمزق الهواء.
وتجمعُ النساء
في امرأة شفاها دمٌ على جليد،
وجسمها المخاثل البليد
أفعى إذا مشت، وسادة على الفراش ...
لا تُريدُ
أن تُفتح الكوى ليدخل الضياء.
كي لا تحس أنها خواء.
ويرفع الشُّرقُ أمام عينك الستور،
توشك أن تعانقَ الجمال عند سُدة الإله،
تكاد أن تراه
يهفُّ وسطاً غيمةً من عَبَقٍ ونور.
تراه في حُلْمَةٍ نَهْدٍ توقد النجوم
بحمرة لها ...
أريته يقوم

من قبره، تحمله سحابةُ الدُّخَانِ،
ينام تحت ظلِّها الفقير والشريد،
فهو أميرٌ حوله الكئوسُ والقيان،
وبيته العتيد
جزيرٌ من جُزُرِ المَرْجَانِ،
كأنَّ بحرًا غاسلاً لسبوس^١ بالأجاج،
تشربه روحك من صدَى إلى القرارِ،
كأن سافو أورثتك من العروق نار،
وأنت لا تضمُّ غير حُلْمِكَ الأبيدُ،
كمن يضمُّ طيفه المَطْلَّ من زجاجِ،
حُرْقَةً نرسيِس، وتنتلوس^٢ والثمارِ!
كأنَّ أفريقيةَ الفاترة الكسولُ
(أنهارُها العراضُ والطبولُ
وغابُها الثقيل بالظلال والمطرُ،
وقيظُها الندِيّ ... والقَمَرِ)
تكورت في امرأةٍ خليعة العذار،
رضعت منها السُّمَّ واللهيبُ،
قطرتَ فيها سَمَكَ الغريب ...
كأنَّها سحابةُ الدخانِ والخَدَرِ
أقمتَ منها، بين عالم تشدُّه نوابضُ النصارِ
وبين عالم من الخيال والفِكرِ،
من نشوة جدار
تقبع خلف ظلِّه فلا ينالُك البَشَرُ.
دخلتُ، من كتابك الأثيم،

^١ الجزيرة التي اتخذت الشاعرة الإغريقية سافو هيكلًا لها فيها.

^٢ عشق نرسيِس ظلّه، وتنتلوس جائع أبدًا يقترب من فمه غصن مثقل بالثمار، حتى إذا كاد يأكل أبعدت الريح الغصن عن فمه.

حديقة الدم التي توج بالزهر،
شربتُ من حروفه سلافة الجحيم
كأنها أضاء ذئبة على القفار،
حليتها سعار،
وفيتها نعيم
غرقْتُ فيه، صكّني العباب،
يقذفني من شاطئٍ لشاطئٍ قديم،
حملتُ من قراره محارة العذاب.
حملتها إليك،
فمدّ لي يديك،
وزحزح الصخور والتراب.

البصرة، ٢٤/٣/١٩٦٢

لأني غريب

لأنيّ غريبٌ،
لأنّ العراقَ الحبيب
بعيد، وأنّي هنا في اشتياقٍ
إليه، إليها... أنادي: عراق،
فيرجع لي من ندائي نحيب
تفجر عنه الصدى،
أحسُّ بأنّي عبرتُ المدى
إلى عالم من ردى لا يجيب
ندائي؛
وإما هزرتُ الغصونُ،
فما يتساقطُ غَيْرُ الردى
حجارُ،
حجارُ وما من ثمار،
وحتى العيون
حجارُ، وحتى الهواء الرطيب
حجارُ يندّيه بعضُ الدم.
حجارُ ندائي، وصخر فمي،
ورجلاي ريحُ تجوب القفار.

ابن الشهيد

وتراجع الطوفان، ملم كل أذيال المياه،
وتكشفت قمم التلال، سفوحها، وقرى السهول،
أكواخها وبيوتها خرب تناثر في فلاة.
عركت نيوب الماء كل سقوفها ومشى الذبول
فيما يحيط بهن من شجر ... فأه.
أه على بلدي، عراقي: أثمر الدم في الحقول
حسكًا، وخلف جرحه التتري ندبًا في ثراه.
يا للقبور كأن عاليها غدا سفلاً وغار إلى الظلام
مثل البذور تنام في ظلم الثمار ولا تفيق.
يتنفس الأحياء فيها كل وسوسة الرغام
حتى يموتوا في دجاها مثلما اختنق الغريق.
جثث هنا، ودم هناك ...
وفي بيوت النمل مد من الجفون،
سقف يقرمده النجيع، وفي الزوايا
صفر العظام من الحنايا.
ماذا تخلف في العراق سوى الكآبة والجنون؟
أرأيت أرملة الشهيد؟
الزوج مد عليه من ترب لحافًا ثم نام
متمددًا بأشد ما تجد العظام

من فسحة: سكنت يداه على الأضالع، والعيون
تغفو إلى أبد الإله، إلى القيامة في سلام.
رمت الرداء العسكري ونشرته على الوصيد ...
لثمته، فانتفض القماش يرد برد الموت،
برد المظلمات من القبور.
يا فكرها عجباً ... ثقت بنارك الأبد البعيد،
يا فكر شاعرة يفتش عن قوافٍ للصيد،
ماذا وجدت وراء أمسي وعبر يومك من دهور؟
«الثأر» يصرخ كل عرق، كل باب
في الدار. يا لعم تقف كالجحيم ... من الصخور،
من كل ردن في الرداء من النوافذ والستور،
من عيني ابنك، يا شهيد، تسائلان بلا جواب،
عنك الأسرة والدروب، وتسألان عن المصير،
مذ ألبسته الأم ثوبك في معارك الأثير،
ويدها في الردين ضائعتان، والصدر الصغير
في صدرك الأبوي عاصفة تغلف بالسحاب،
ورنا إلى المرأة
أبصر فيه شخصك في الثياب.
«أبنيّ كان أبوك نبعا من لهيب، من حديد،
سورا من الدم والرعود،
ورماه بالأجل العميل فخر — واهًا — كالشهاب،
لكن لمحا منه شع وفض أختام الحدود،
وأضاء وجه الفوضوي ينز بالدم والصديد،
وكأن في أفق العروبة منه خيطاً من رغب.»
وتنفس الغد في اليتيم ومد في عينيه شمس،
فرأى القبور يهب موتاهن فوجاً بعد فوج،
أكفانها هرتت ...
ولكن الذي فيها يضم إليه أمسه،

ابن الشهيد

ويصيح: «يا للثار، يا للثار.»
يصدى كل فج،
وترن أقبية المساجد والمآذن بالنداء.
وينام طفلك وهو يحلم بالمقابر والدماء.

البصرة، ٩/٣/١٩٦٢

فرار عام ١٩٥٣

في ليلةٍ كانت شرايينها
فحمًا وكانت أرضها من لحدود
يأكل من أقدامنا طينها،
تسعى إلى الماء،
إلى شراعٍ مزقته الرعود
فوق سفينٍ دون أضواء،
في الضفة الأخرى ... يكاد العراق
يومي؟ يا أهلاً بأبنائي.
لكننا، وا حسرتنا، لن نعود.
أواه، لو سيكارةٌ في فمي،
لو غُنوةٌ، لو ضمّةٌ، لو عناق.
لسَعْفَةٍ خضراءٍ أو بُرعم
في أرضي السكرى برؤيا غد.
إنّا مع الصبح على موعِدٍ
رغم الدجى، يا عراق!
ريفٌ وراء الشطِّ بين النخيلُ
يغفو على حُلْمٍ طويلٍ طويل،
تتاءبت فيه ظلالٌ تسيل
كالماء بين الماء والعُشْبِ.
يا ليت لي فيه

قبراً على إحدى روابيه،
يا لَيْتَنِي ما زلت في لعبي
في ريف جيكورَ الذي لا يميل
عنه الربيعُ الأبيضُ الأخضرُ،
السَّهْلُ يندى والرُّبَى تُزهرُ.
ويطفئُ الأحلام في مقلتي
— كأنها منفضةٌ للرماد —
هَمْسٌ كَشَوِكِ مَسٍّ من جبهتي،
يُنذِرُ بالسارين فوقَ الجياد
(سنايك الخيل مساميرُ نازُ
تدقُّ تابوت الدجى والنهار:
ناعورةٌ تحرسُ كَرَمَ الحدود)¹
أثقلَ طين الخوف ما للفرار
من قدم تدمى ... ومدَّ السُّدود.
أمن بلادي هاربُ؟ أي عار!
وارتعشَ الماء وسار السَّفين،
وهبَّت الرِيحُ من الغُرب
تحمل لي دَرْبِي ...
تحمل من قَبَرها ذرَّ طين،
تحمل جيكورَ إلى قلبي.
يا رِيحُ، يا رِيحُ،
توهَّجت فيك مصابيحُ،
من ليل جيكور، أضاءت ظلَّمة السَّفين؛
لأبصرَ الأعينَ كالشهب
تلتم حَوَلي، لأراها تلين!
وأنجم الشطِّ زهورُ كبارُ

¹ وضع الأبيات بين الأقواس لا يعني أنها مضمنة.

فرار عام ١٩٥٣

أوشكْتُ أن أبصرَ سيقانها
تمتدُّ في الماء، تمسُّ القرار،
لملمَ فجرُ الصيف ألوانها،
كأنَّها أوجه حورٍ تحار،
فيها تباريحُ الهوى والحياء...
كأنَّها زنبق نارٍ وماء.

البصرة، ٢١/٣/١٩٦٢

جيكور شابت

ما نفضتُ الندى عن ذرى العُشب فيها،
ما لثمتُ الضبابَ الذي يحتويها،
جئْتُها والضُّحى يزرع الشمس في كلِّ حقلٍّ وسطحٍ،
مثل أعواد قَمَحٍ.

فرَّ قلبي إليها كطيرٍ إلى عُشِّه في الغروبِ.
هل تُراه استعاد الذي مرَّ من عُمره، كلُّ جُرْحٍ
وابتسام؟

أبعد انطفاءِ اللهبِ
يستطيع الرماد اتِّقادًا؟ ومن أين؟ من أيِّ جَمْرَةٍ؟
يا صباي الذي كان للكون عطرًا وزهواً وتيها ...
كان يومي كعام، تعدُّ المسرَّةُ
فيه نبضًا لقلبي تفجَّر منها على كلِّ زهرة.
كانت الأرض تلقى صباها لأوَّل مرةٍ ...
كان قابيلُها بذرةٍ مستسرَّةٍ ...
كان للأرض قلبٌ، أحسُّ به في الدروبِ،
في البساتين، في كلِّ نهرٍ يُروِّي بنيتها.
آه جيكور، جيكور ...

ما للضحى كالأصيل
يسحب النور مثل الجناح الكليل؟

ما لأكواخكِ المقفراتِ الكئيبةُ
يحبس الظل فيها نحيبه؟
أين أين الصبايا يوسوسنَ بين النخيل
عن هوى كالتماح النجوم الغريبة،
أو يجررن أذيالهن التي لوئنتهنَّ أقمار صَيِّف،
أو شمسٌ خريفيةٌ، عند شطِّ ظليل،
والشفاهُ ابتساماتٌ حبٌّ وخوف؟
عجائزُ أو في القبور ...
عجائزُ يغزلن حول الصلاء
ويروينَ، عبر الكرى والفتور،
أقاصيصَ عن جنَّةٍ في بيوتِ خواء،
لأحفادهنَّ اليتامى.
وجيكور شابت وولى صباها،
وأمسى هواها
رماً، إذا ما
تأوهن هزته ريح ...
أثارته حتى ارتمى في صداها
هباءٌ وذراً تضيق الصدور
به عن مداها.
أين جيكور؟
جيكور ديوان شعري،
موعد بين ألواح نعشي وقبري.
كركرات المياه التي كسَّر الشمسَ منها ارتجافُ،
والأنينُ الذي منه كنا نخافُ،
صاعداً مثل مد تنز القبور
عنه والشمسُ تمتصُّ من كلِّ نهر،
ودرابك في الأرض تنقرهنَّ البذور
وهي تنشقُّ في كلِّ فجر

جيكور شابت

ذكرياتٌ ... كما يترك الصوت من ميِّتٍ
في خيالٍ رنينه،
مثل نايٍ تشظَّى وأبقى أنينه.
إيه جيكور، عندي سؤالٌ، أما تسمعينه؟
هل تُرى أنت في ذكرياتي دفينَةٌ،
أم تُرى أنتِ قبر لها؟ فابعثيها
وابعثيني.
وهيهات! ما للصبى من رجوع.
إن ماضيَّ قبري وإني قَبْرُ ماضيَّ:
موتٌ يمدُّ الحياةَ الحزينةَ؟
أم حياةٌ تمدُّ الردىَ بالدموع؟

* * *

ما نفضتُ الندى عن ذرى العشب فيها.

جيكور، ٢/٤/١٩٦٢

احتراق

وحتى حين أصهرُ جسمكِ الحجريَّ في ناري،
وأنزع من يدكِ الثلج، تبقى بين عينينا
صحارى من ثلوج تُنهك الساري،
كأنك تنظرين إليَّ من سُدمٍ وأقمارِ،
كأننا، منذ كُنَّا، في انتظار ما تلاقينا.
ولكنَّ انتظار الحبِّ لُقيًا ... أين لقيانا؟
تمزقَ جسمكُ العاري ...
تمزق، تحت سقف الليل، نهدك بين أظفاري ...
تمزق كل شيء من لهيبي، غير أستارِ،
تحجب فيك ما أهواه.
كأنني أشرب الدم منك ملحًا، ظلَّ عطشانًا
من استسقاها. أين هواك؟ أين فؤادكِ العاري؟
أسدُّ عليكِ بابَ الليلِ ثم أعانقُ البابا،
فألثمُ فيه ظلِّي، ذكرياتي، بعض أسراري ...
وأبحثُ عنك في ناري
فلا ألقاكِ، لا ألقى رمادكِ في اللظى الواري.
سأقذف كل نفسي في لظاها، كل ما غابا

المعبد الغريق

وما حضرا.
أريدك فاقتليني كي أحسك.
واقتلي الحجرا
بفيض دم، بنار منك ... واحترقي بلا نار؟

بيروت، ٢٦ / ١٠ / ١٩٦١

سهر

سهرتُ فكل شيء ساهرٌ: قدماي والمصباحُ
وأوراقِي.
أنا الماضي الذي سدُّوا عليه البابَ، فالألواح
غدي والحاضر الباقي.
أنا الغد في ضمير الليل، مدَّ الليل ألفَ جناح
عليه، فطار، لما طار، بالظلماء والشهب.
أصخْتُ السَّمْعَ والظلماءَ حولي بوقُ سيارةٍ.
يبثُّ إلى البغيِّ رسالةَ الحبِّ
ويومئُ للسكرارى أن تعالوا، ألفَ خمارةٍ.
تكشر، تفرج الساقين، تقطع نومةَ الدرب
بوهوهِ النيون.
أصخْتُ والظلماءَ صفارةٍ
وخطوةُ حارس ...
فذكرتُ نهر القرية المكسالُ
يسيل لكي يعيش، لكي يموت، يمصُّه الجزرُ
فيعرى جرفه الطيني حتى يقبل الفجر
فيحمل في سناه المدَّ، يحمل زورقًا يختال،
بصياذٍ يُعد شبابه ويرود في الماءِ

مسارب كل ناعسة من الأسماك خضراء.
ذكرت مقابر الأطفال،
تلوذ بكل سفح، نام فيها دون أذاء
ولا قُمط، صغاراً من حصاد الجوع والداء،
لقد رضعوا من الثدي الذي لم تُبله الأجيال،
وناموا في حمى الأم التي لا يستوي الأطفال
ولا الأشياء إلا في حماها، في حمى ترَبٍ وظلماء.
سهرت الليل في بيروت لا بين المواخير
(كهوف العالم المتحضر المغسول بالنور)
هنا يتوكلون على العظام ليصعدوا أفقا من النشوة،
لينحدروا إلى فجوة.
تتأب ظلها وأصيلها بين الدياجير
وبين منابع الأضواء،
تتأب ظلها وأصيلها بين العقارب والسنانير،
وبين المسرج الظلماء
والممتد حتى الله في القدس وفي سيناء.
سهرت يرن صور الموت في أذني كالزلزال،
«تهدم حائط الأجيال،
وكاد يغور إذ لمستته كفي، ألف نوح زال،
وألف زليخة صيرت كحل عيونها ظلمة.
أنا الباقي بقاء الله أكتب باسمه الآجال،
وما لسواه عند مطارق الآجال من حرمة.»
هنا في كل موت ألف موت: كان في الضمة
وفي القبلات، في الأقداح،
تدور الأسطوانة وهو فيها لمعة الضوء
يوسوس في تهدج صوتها فيخدع الأرواح،
ويلمس جبهة الملاح في النوء.

سهر

سهرتُ لأنني أدري
بأنني لن أقبلَ ذاتَ يومٍ وجنةَ الفجرِ،
سيقبلُ مطلقاً في كلِّ عشٍّ نعمةً وجناح،
وسوفُ أكونُ في قبري.

بيروت، ١٥/٤/١٩٦٢

الوصية

من مرضي،
من السرير الأبيض،
من جاري انهار على فراشه وحشرجا،
يمص من زجاجة أنفاسه المصفرة،
من حلمي الذي يمدُّ لي طريق المقبرة،
والقمر الریض والدجى ...
أكتبها وصيةً لزوجتي المنتظرة،
وطفلي الصارخ في رقاده: «أبي، أبي.»
تلم في حروفها من عمري المذبذب.
لو أن عوليس وقد عاد إلى دياره،
صاحت به الآلهة الحاقدة المدمرة،
أن ينشر الشراع، أن يضلَّ في بحاره
دون يقين، أن يعود في غدٍ لداره،
ما خضَّه النذير والهواجس،
كما تخض نفسي الهواجس المبعثرة،
اليوم ما على الضمير من حياءٍ حارس:
أخاف من ضبابية صفراءٍ
تنبع من دمائي.
تلفني فما أرى على المدى سواها.
أكاد من ذلك لا أراها،

يقصُّ جسمي الذليل مبضع
كأنه يقصُّ طينةً بدون ماء.
ولا أحس غير هبةٍ من النسيم ترفعُ
من طرفِ الستائر الضبابِ،
ليقطرَ الظلامُ، لستُ أسمع
سوى رعودٍ رنَّ في الليابِ،
منها صدَى وذاب في الهواءِ ...
أخاف من ضبابيةِ صفراءِ!
أخاف أن أزلقَ من غيبوبةِ التخديرِ
إلى بحارٍ ما لها من مرسى،
وما استطاع سندبادُ حين أمسى
فيهن أن يعودَ للعودِ وللشرابِ والزهورِ،
صباحها ظلامٌ،
وليلها من صخرةٍ سوداء.
من ظلِّ غيبوتي المسجورِ
إلى دجى الحمامِ
ليس سوى انتقالةِ الهواءِ،
من رثةٍ تغفو، إلى الفضاءِ.
أخاف أن أحس بالمبضع حين يجرحُ
فأستغيث صامتَ النداءِ.
أصبح لا يردُّ لي عوائي،
سوى دمٍ من الوريدِ ينضحُ.
وكيف لو أفقتُ من رقادي المخدَّرِ
على صدى الصورِ، على القيامةِ الصغيرةِ:
يحمل كلُّ ميِّتٍ ضميرَه،
يشعُّ خلف الكفن المدبَّرِ،
يسوق عزرائيلُ من جموعنا الصفرِ إلى جزيرةٍ
قاحلةٍ يقهقهه الجليدُ فيها،

الوصية

يصفر الهواء في عظامنا ويبيكي.
ماذا لو أَنَّ الموتَ ليس بعده من صَحْوَةٍ،
فهو ظلامٌ عَدَمٌ، ما فيه من حَسٍّ ولا شعور!
أكل ذاك الأَنَسِ، تلك الشقْوَةُ،
والطمع الحافر في الضمير،
والأمل الخالق من توثب الصغير،
ألف أبي زيد تفور الرغوةُ
من خيله الحمراء كالهجير ...
أكلها لهذه النهاية؟
تُرى الحِماة للحياة غايَةٌ؟

* * *

إقبالُ يا زوجتي الحبيبة،
لا تعذليني ما المنايا بيدي،
ولستُ، لو نجوتُ بالمخلدِ.
كوني لغيلان رضى وطيبَةً،
كوني له أبًا وأُمًَّ وارحمني نحيبه،
وعلميه أن يُذيلَ القلبَ لليتيم والفقير،
وعلميه ...
ظُلْمَةُ النعاسِ
أهدأبها تمس من عيوني الغريبةُ،
في البلد الغريب، في سريري،
فترفح اللهيب عن ضميري ...
لا تحزني إن مت أي باس،
أن يُحطَمَ الناي ويبقى لحنه حتى غدي؟
لا تبعدي،
لا تبعدي،
لا ...

بيروت، ١٩٦٢/٤/١٩

